# Mind Consciousness Wars: Western Think Tanks, Strategic Tools of Hegemony

■ Mr. Mohammad Baqir Karki[1]

## Abstract

This research analytically examines the role of Western think tanks in the structure of contemporary hegemony, highlighting how they have transitioned from academic research institutions to strategic tools for producing directed knowledge and formulating narratives that influence international politics.

It demonstrates that these centers operate within a complex network where politics, economics, media, and finance intersect, giving them an effective ability to redefine problems and formulate solutions that serve the interests of dominant powers. It also focuses on how they employ concepts such as "failed state" and "moderate Islam" in sensitive regional contexts, such as Iraq, Lebanon, Syria, and Iran, making them partners in producing legitimacy for interventionist policies.

The research reviews models of prominent institutions such as RAND, Brookings, and WINEP, revealing the nature of their structural bias, their role in rotating elites, and their influence on media discourse.

It draws on internal Western critical readings (Chomsky, Foucault) to highlight the dimensions of these centers' cognitive complicity with power.

The research concludes the necessity of building local cognitive alternatives capable of resisting soft cognitive colonialism and formulating narratives that reflect societies' priorities and autonomy.

## Keywords:

Think Tanks, Soft Hegemony, Cognitive Warfare, Strategic Narratives, Conditional Financing, Decision-Making, Cognitive Resistance.

1 -Researcher in philosophy and political communication (Lebanon).

# العقلُ المُدبِّر لحروب الوعي: مراكزُ التفكير الغربيَّة والأذرع الاستراتيجيَّة للهيمنة

■ محمد باقر كركي[1]

## ملخّص

يتناول هذا البحث بالدراسة التحليليَّة دور مراكز التفكير الغربيَّة في بنية الهيمنة المعاصرة، مبرزًا كيف انتقلت من مؤسسات بحثيَّة أكاديميَّة إلى أدوات استراتيجيَّة، لإنتاج المعرفة الموجّهة، وصياغة السرديَّات المؤثّرة في السياسات الدوليَّة. يوضّح البحث أنَّ هذه المراكز تعمل ضمن شبكة معقّدة، تتقاطع فيها السياسة والاقتصاد والإعلام والتمويل، ما يمنحها قدرة فاعلة على إعادة تعريف المشكلات، وصياغة الحلول، بما يخدم مصالح القوى المُهيمنة. كما يركّز على كيفيَّة توظيفها لمفاهيم، مثل «الدولة الفاشلة» و«الإسلام المعتدل»، في سياقات إقليميَّة حسَّاسة، كالعراق، ولبنان، وسوريا، وإيران، الأمر الذي يجعلها شريكًا في إنتاج الشرعيَّة للسياسات التدخليَّة. ويستعرض البحث نماذج لمؤسَّسات بارزة كـ (RAND) و(Brookings) و(WINEP)، كاشفًا طبيعة انحيازها البنيويّ، ودورها في تدوير النخب، والتأثير في الخطاب الإعلاميّ. ويستند إلى قراءات نقديَّة غربيَّة داخليَّة (تشومسكي، فوكو)، لإبراز أبعاد التواطؤ المعرفيّ لهذه المراكز مع السلطة. ويخلص البحث إلى ضرورة بناء بدائل معرفيَّة محليَّة قادرة على مقاومة الاستعمار المعرفيّ الناعم، وصياغة سرديَّات تعكس أولويَّات المجتمعات واستقلاليَّتها.

**الكلمات المفتاحية**: مراكز التفكير، الهيمنة الناعمة، الحرب الإدراكيَّة، السرديَّات الاستراتيجيَّة، التمويل المشروط، صناعة القرار، المقاومة المعرفيَّة.

---

١ - باحث في الفلسفة والاتصال السياسي.

# مقدِّمة

حين تُبنى الجيوش وتُرصّ الصفوف، قد لا يكون العدوّ مرئيًّا على خطّ التماس. فثَمَّة معارك تُخاض في الظلّ، وأسلحة لا تُدوّي، وخرائط لا تظهر على الشاشات. في هذا الحيّز الرماديّ من الصراع العالميّ، تتقدّم «مراكز التفكير» باعتبارها أذرع استراتيجيَّة متقدِّمة، تتسلَّل إلى الوعي الجمعيّ، وتصوغ الرأي العام، وتعيد تشكيل تصوّرات العالم عن ذاته والآخر.

لقد شهدت العقود الثلاثة الأخيرة تحوّلاً نوعيًّا في مفهوم الهيمنة، لم يعد فيه السلاح الصلب هو الأداة الوحيدة لتثبيت النفوذ، بل أضحت السيطرة على المعاني والرمزيَّات، وتوجيه الفهم الجمعيّ، وصناعة الخطاب، أدوات لا تقلّ فاعليَّة عن الرشّاش والطائرة. لقد أدركت القوى الكبرى أنَّ "الحقيقة" يمكن "تصنيعها" وفرضُها؛ تمامًا كما جرى تصنيع الحدود بين المجتمعات والدّول.

يجري تقديم مراكز التفكير في المُخيِّلة العالميَّة، وفي المجالات السياسيَّة والاجتماعيَّة والدوليَّة بصفتها مؤسَّسات بحثيَّة مستقلَّة، تُعنى بإنتاج المعرفة، وتحليل الظواهر، وتقديم المشورة لصنّاع القرار. لكنّ التّعمّق قليلاً تحت السطح، والنظر في بنيتها الداخليَّة، وشبكات تمويلها، وخطابها العامّ، يكشف عن طبيعة أكثر تعقيدًا وديناميكيَّة: إنّها تتجاوز حدود كونها مراكز بحث أكاديميَّة، تسعى للوصول إلى نتائجها بمعزل عن أيّ تحيّز، وإنّما -في حقيقة الأمر- هي مصانع لتوليد السرديَّات الاستراتيجيَّة، تُنظّم فيها المفاهيم، وتُصاغ فيها الرؤى، وفق مصالح سياسيَّة واقتصاديَّة وثقافيَّة مدروسة. ولا بدّ من النظر إليها انطلاقًا من طموحاتها ووظائفها التي أسّست من أجلها؛ وهو أنّها تعمل على المعرفة والمعلومات من موقع "المشاركة" في إنتاج السلطة وتوجيهها؛ كونها، في أغلب الأحيان، مموّلة من قبل أجهزة رسميَّة، أو مرتبطة بشبكات

مصالح كبرى، أو مدعومة من جماعات ضغط (لوبيّات)، لها أهداف جيو-سياسيَّة محدّدة. لذا، فـإنّ الأوراق البحثيَّة الصـادرة عنها، وإن بدت محايدة في ظاهرها، فإنّهـا غالبًا ما تخدم سرديَّة مركزيَّة، تُعيد إنتاج صورة الآخر المسـتهدَف، وتخدم بوصفها مبرّرًا ودافعًا نحو أشكال متعدّدة من التدخّل الناعم أو الخشن.

في العقدين الماضيين، شـاع اسـتخدام مفاهيم محدّدة، وبشـكل خاصّ في الفضاء العربيّ والإسلاميّ، لا سيّما في الملفَّات الحسَّاسة والمعقّدة في العراق، ولبنان، وسوريا، وإيران، مثل "الدولة الفاشلة"، و"الإسلام المعتدل"، و"الإرهاب الشيعي"، و"التحوّل الديمقراطي الموجّه"، و"الإعـمار المشروط" ـ لم تكن هـذه المفاهيم من ابتـكار الإعلام ولا نتاج العمل السـياسيّ المباشر، بل نشـأت في مراكز مثل "راند" (RAND)، و"بروكينجز" (Brookings)، و"تشـاتام هاوس" (Chatham House)، و"معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى" (WINEP)، ثمّ جرى تسـويقها في الصحافة الغربيَّة، واعتمادها مرجعًا في السياسـات الخارجيَّة، والاستناد إليها في قرارات العقوبات والدعم والضغط والتصنيف.

إنّ حضور هذه المراكز في إنتاج "الرؤية المهيمنة عن العالم" لا يقتصر على التأثير في الداخل الغربيّ، بل يتعدّاه إلى تشـكيل بيئات الاسـتجابة في الخارج، أي في المجتمعات المسـتهدفة بالتدخّل أو التغيير. وهنا تتحـوّل مراكز التفكير إلى أدوات تأثير مزدوج: من جهة تُغذّي صناعة القرار في المركز، ومن جهة أخرى تُمهّد الأرض نفسيًّا وثقافيًّا لقبول هذا القرار من قبل الأطراف. وبهـذا، تأخذ هـذه المراكز دورهـا الأعمق والأخطـر، وتتحوّل مـن مجـرّد "أدوات تحليل"، إلى "أدوات هيمنة ناعمة". يشـير باحثون غربيّون بوضوح إلى أنّ هذه المراكز تشكّل أوّل حلقة في سلسلة النفوذ الغربيّ الناعم؛ إذ تكتب الخطاب الذي يُشرعن التدخّل باسم المصلحة الدوليَّة، الأمر الذي يخرجها من حقل الاختصاصات الأكاديميَّة، وتدخل في عمق صراع القوة والشرعيَّة والهيمنة، بوصفها فاعلاً رمزيًا واستراتيجيًا في آنٍ معًا.

انطلاقًا مما تقـدّم، يتّخذ هذا البحث لنفسـه زاوية تحليليَّة نقديَّة، تسـعى إلى تفكيك الدور الهيمنيّ لهذه المؤسّسـات، من خلال مسـاءلة بنيتها المعرفيَّة والسياسيَّة، ونمط تمثيلها لذاتها، وطبيعة الخطاب الذي تُنتجه، والشبكات التي تمكّنها. وهو لا يكتفي بذلك، بل يحاول مساءلة

هذه البنية من داخل المنظومة الغربيَّة نفسها، اعتمادًا على قراءات نقديَّة أوروبيَّة وأمريكيَّة تكشف تناقضات هذه المؤسسات مع مبادئ الحياد والموضوعيَّة التي تدّعيها.

ثمّ يحاول هذا البحث فتح نافذة مقارنة بين مراكز التفكير الإقليميَّة، التي تتوزّع بين نموذجين: نمـوذج أوّل "مدمج" بالكامل في المنظومة الغربيَّة، ونموذج ثانٍ يسـعى إلى بناء خطاب مقاوم نسبيًّا، وإن تفاوتت من حيث الاستقلال والتأثير. في الوقت نفسه، يستنكف البحث عن الدخول في المفاضلة السـاذجة بين النماذج، ليركّـز أكثر على فهم موقع كلّ منهـا في الصراع المعرفي المعاصر؛ حيث تحوّل "إنتاج المعرفة" إلى سـاحة مواجهة اسـتراتيجيَّة، لا تقلّ حساسـيَّة عن ساحات الحرب والدبلوماسيَّة.

إن قراءة مراكز التفكير بصفتها أدوات "هندسة للوعي"، لا مجرّد منصات للبحث، تُعيد طرح سؤال جوهري: من يصوغ المعنى؟ ومن يتحكّم في السرديَّة؟ ومن يملك سلطة التأويل في زمنٍ أصبح فيه الخطاب هو الميدان، والمعلومة هي السلاح، والمعرفة هي الجبهة الأماميَّة للصراع؟

## أوّلًا: مراكز التفكير بين المفهوم والوظيفة

لطالما أثارت مقولة «الحياد المعرفيّ» مخيّلة المثاليّين في نظرتهم إلى العمل البحثيّ على وجه العموم. لكنّ حسـابات الواقع خالفت حسابات الحالمين؛ إذ تحوّلت في العقود الأخيرة مراكز التفكير (Think Tanks) مـن الصورة البريئة التي تُصوّرها بصفتها "معاملَ أفكار" محايدة، إلى كونها فاعلاً سياسيًّا ومعرفيًّا مركزيًّا في بنية صنع القرار، سواء في الأنظمة الديمقراطيَّة أم السلطويَّة، وفي البيئات الوطنيَّة أو العابرة للحدود. وكما يوضّح (دونالد أبِلسُـن-Donald Abelson)، فإنّ "السـؤال لم يعد يتمحور حول ما إذا كانت هذه المراكز تؤثّر [بالفعل]، بل [أصبح عن] الكيفيَّة التي تمارس بها هذا التأثير، ومـن يتبنّى أفكارها، ولأيّ غرض"[1]. هذه الملاحظة تكثّف إدراكًا جوهريًّا: التأثير ليس عمليَّةً محايدةً، بل نتاجَ تفاعلٍ معقّد بين البنية التنظيميَّة للمراكز، وشبكات، التمويل والسياسة، والإعلام.

1 Donald Abelson: Think Tanks, Public Policy, and the Politics of Expertise, p25.

### ١. الحقول المتقاطعة والفاعليَّة الهجينة

قبل أيِّ أمر، لا بدّ من الخروج من فكرة، مُفادها أنّ المراكز المذكورة تقدّم المشورة الموضوعيَّة، وأنْ يجري النظر إليها على أنّها «آلة إنتاج» تقدّم المنتَج المطلوب بالجودة المطلوبة، التي يرضى عنها صاحب العمل قبل أيّ شيء آخر. يقدّم (توماس ميدفيتز-Thomas Medvetz) إطارًا لفهم طبيعة مراكز التفكير، باعتبارها "نقاطَ تقاطعٍ بين أربعة حقول: الأكاديمي، والسياسي، والاقتصادي، والإعلامي"[1]. أما الخاصّيَّة التي تمنحها تلك القدرة على التأثير، فهي مرونتها في التنقّل بين هذه الحقول، واستثمار الشرعيّات المختلفة التي توفّرها؛ إذ يمكن للتقرير أنْ يبدأ نصًّا أكاديميًّا متقيّدًا بالمنهجيَّة، لكنّه في نهاية المطاف سيتحوّل إلى موجز سياسيّ موجّه لصنّاع القرار، ويُعاد إنتاجه مرّة إضافيَّة باعتباره مادّةً إعلاميَّة تبسّط الأفكار للجمهور، أو حتى أداة ضغط وورقة إدانة ظرفيَّة في مداولات برلمانيَّة. هذا التداخل الوظيفي يمنح المراكز موقع الوسيط بين المعرفة والسلطة، مع القدرة على إعادة إنتاج الفكرة نفسها بصيغ متعدّدة تخدم سياقات مختلفة. مثال ذلك، مجلس العلاقات الخارجيَّة في الولايات المتحدّة، الذي يصدر تقارير بحثيَّة معمّقة، لكنّها غالبًا تُختصر في رسائل استراتيجيَّة موجَّهة إلى المسؤولين، أو تُقدَّم في صيغة إعلاميَّة، بحيث تصل الرسالة ذاتها إلى جمهورين مختلفين بأسلوبين متباينين.

### ٢. شبكات القرار وتمويل الأفكار

من الأفكار السائدة -أيضًا- عن هذه المراكز، هو أنّها مؤسّسات تسعى للرقابة على العمل الحكوميّ، والنقابيّ، والسياسيّ، والحقوقيّ في نطاق ما، وتقدّم أنشطتها على شكل دور إشرافيّ يسعى -ببراءة غريبة- إلى رفع مستوى العمل لدى الجهة التي تُشرِف عليها أو تتعامل معها. لكنّ العلاقة بين هذه المراكز والكيانات، التي ترتبط بها، هي بعيدة كل البُعد عن هذا التوصيف؛ إذ تؤكّد (ديان ستون-Diane Stone) أنّ مراكز التفكير في الغرب "ليست مؤسّسات مراقبة مستقلّة، بل عقدًا داخلَ شبكات إنتاج القرار"[2]. هذا الارتباط لا يقتصر على السياقات السياسيَّة، بل

1 - Thomas Medvetz: Think Tanks in America, p60.

2 - Diane Stone: Capturing the Political Imagination: Think Tanks and the Policy Process, p110.

يشمل التمويل أيضًا؛ حيث تحدّد علاقات المراكز مع الحكومات، أو الشركات، أو المؤسّسات المانحــة أولويَّاتها البحثيَّة، وأحيانًا صياغة المخرجات ذاتها. ويضيف (أندرو ريتش- Andrew Rich) أنّ "أحد أهمّ أشــكال التأثير يكمــن في وضع مخطَّطات النقاش العام، عبر تحديد كيفيَّة تعريف المشــكلة قبل حتى مناقشــة الحلول"[1]. إنّ تأطير المشكلة بشــكل مسبق، يعني إقفال الأبواب الموضوعيَّة والمنهجيَّة أمام التفكير خارج إطار محدّد مســبقًا، فيجري القيام بالأعمال المعرفيَّة، لأجل خدمة هدف موضوع مســبقًا، لا يمكن الحياد عنــه، أو تقويمه، أو القول بعدم صلاحيّته مثلاً.

إنّ من البديهيّ اليوم، لدى الباحث المتفطّن والدقيق، اعتقاده الصارم بأنّ التمويل المشروط قد يغيّر اتجاه البحث. وقد تكون هذه المراكز أحد أبرز الأدلّة الواقعيَّة على هذا الأمر؛ ففي دراسة عن "ســوق الأفكار" في الولايات المتحدّة، تبيّن أنّ المراكــز التي تعتمد على مموّلين من قطاع الطاقة نادرًا ما تتبنّى مواقف معارضة لمشــاريع الوقود الأحفــوريّ، حتى في ظلّ وضوح الأدلّة العلميَّة على أضرارها[2].

### ٣. نوافذ السياسات واستراتيجيَّة الحلول الجاهزة

في تحليلــه لعمليَّة صنــع القرار، يطرح (جــون كينجــدون-John Kingdon) فكــرة "نوافذ السياســات" التي تُفتح حين تتقاطع ثلاثة مسارات: المشكلات، والحلول، والسياسة. وتتحوّل الأفكار مســبقة التحضير إلى واقعٍ جاهزٍ للتبنّي العمليّ، حينها "تصبح الأفكار سياســات حين تلتقــي هذه التيّارات في لحظــة مؤاتية"[3]. ولأجل ذلك، تحافظ مراكــز التفكير على رصيد من "الحلــول الجاهــزة" في انتظار هذه اللحظــة. ويضيف (دانيال دريزنــر- Daniel Drezner) أنّ "السوق لا يكافئ دائمًا الفكرة الأكثر دقّة أو علميَّة، بل الفكرة الأكثر قابليَّة للتسويق السياسيّ"[4].

1 - Andrew Rich: Think Tanks, Public Policy, and the Politics of Expertise, p45.
2 - Eric Conway, and Naomi Oreskes: Merchants of Doubt, p172.
3 - John Kingdon: Agendas, Alternatives, and Public Policies, p65.
4 - Daniel Drezner: Ideas and Foreign Policy: Beliefs, Institutions, and Political Change, p30.

يتّضح ذلك في مجالات الأمن القوميّ؛ حيث تضع بعض المراكز خططًا مسبقة للتعامل مع تهديدات مفترضة، وعندما تقع أزمة -سواء هجوم أم انهيار اقتصاديّ- تُطرح هذه الخطط بسرعة على طاولة القرار، مدعومة بتغطية إعلاميَّة تسهّل تبنّيها.

### ٤. الاقتصاد السياسيّ لزراعة الشكّ

لا يمكن للنّشطاء المحلّيين في أيّ بلد من البلدان التي تستهدفها قوى الهيمنة، أنْ يعملوا وفق معطيات لا تمتلك شيئًا من الصدقيَّة، وتكون السرديَّة ممزوجة بشيء من الحقيقة، لأجل ذلك، تصبح مراكز التفكير العالميَّة مصدرًا رئيسًا لهم، ليتمكّنوا من الاستناد إلى معلومات تبدو في ظاهرها نظيفة وصحيحة، ويمكنها أن تشكّل أرضيَّة صالحة للهجوم، أو الدفاع، أو التشكيك السياسيّ. فضلاً عن تشغيل هؤلاء النشطاء والسياسيين وطبقة من الأكاديميين في حلقات متصلة بهذه المراكز، ما يعطي هذه الشخصيّات ظاهرًا رزينًا، ووزنًا سياسيًّا معتبرًا لدى الجمهور والنخب.

في كتابهما "تجّار الشكّ"، تكشف (نعومي أوريزكس-Naomi Oreskes) و(إريك كونواي-Eric Conway) أنّ بعض مراكز التفكير "تتلقّى تمويلاً من أطراف لها مصلحة في خلق الشكوك عن الإجماع"[1]. وهذه الاستراتيجيَّة التي تهدف إلى زرع الشكّ ضمن أيَّة دائرة مطلوبة، لا تقتصر على قضايا هامشيَّة أو حقوقيَّة محلّيَّة، وإنّما تمتد إلى السياسة الدوليَّة؛ حيث يمكن تغليف مخطّطات أمنيَّة أو اقتصاديَّة بسرديّات عن "الاستقرار" أو "الديمقراطيَّة".

ولعلّ أحد أبرز الأدلّة المتأخّرة على هذا الأمر، ما حصل في العراق، وتحدّث عنه (محمد إدريس أحمد)، من أنّ شبكات المحافظين الجدد تعاونت مع مراكز فكريَّة مثل (AEI) و(PNAC)، لإنتاج خطاب تهديد ممنهج ضدّ العراق، ما هيّأ المناخ السياسيّ لغزوه عام ٢٠٠٣ [2].

وبالمثل، يوثّق (تريتا بارسي-Trita Parsi) كيف أسهمت المؤسّسات البحثيَّة في ترسيخ سرديَّة "الخطر الإيرانيّ" في أروقة صنع القرار الأميركيّ، ممهّدة الأرضيَّة اللازمة لتسويغ سياسات

1 - Eric Conway, and Naomi Oreskes: Merchants of Doubt, p77.

2 - Muhammad Idrees Ahmed: The Road to Iraq: The Making of a Neoconservative War, p115.

الاحتـواء والتصعيد[1]، وفي نهاية المطاف: الاسـتهداف العسـكريّ، والاعتداء على السـيادة، واستمرار الحصار.

## ثانيًا: كيف تعرّف مراكز التفكير نفسها ودورها؟

عنـد مراجعة الصياغات المعتمدة، مـن قِبل مراكز التفكير الغربيَّة تحديـدًا، في تعريفها عن نفسـها، نلحظ خطابًا مؤسّسيًّا مصقولاً، يتكرّر فيه اسـتخدام مفردات مثل «الاستقلال»، و«غير الربحيَّـة»، و«غير الحزبيَّة»، و«الالتزام بالمصلحة العامّة»، و«المعرفة القائمة على الأدلّة». هذه المثاليَّة المفرطة في التعبيرات، لا تعدو كونها استعراضًا لرمزيّات مدروسة تسويقيًّا، وهي بعيدة عـن الأدوار الحقيقيَّة التي تتجاوز التجميل الموضوعيّ والصياغيّ إلى حدّ كبير، وهي لا تعدو كونها تمثّل واجهة رمزيَّة تخفي وراءهـا أدوارًا وظيفيَّة معقّدة تتجاوز الحياد الأكاديميّ، بحيث تتموضع في صلب صناعة القرار السياسيّ وصياغة الاستراتيجيّات الدوليَّة. كما يمكن استعراض عدد كبير من الأمثلة على ذلك، منها:

### ١. مؤسسة راند (RAND): بين الحياد المعلن وإعادة تشكيل السرديّات

تؤكّد مؤسّسـة «راند» في تعريفها الرسـميّ، على أنّها «منظّمة غير ربحيَّة وغير حزبيَّة، تساعد صُنّاع السياسات على اتخاذ قرارات مبنيَّة على بحوث دقيقة وتحليلات موثوقة»[2]. لكنّها تذكر بوضوح تأثيرها على القرار، وتكوين اتجاه محدّد لدى صنّاعه، بشكل بدأ يثير التساؤلات، حتى لدى المعنيين بالشـأن العام الأمريكي، فيما تحاول مراكز التفكير، ومنها مؤسّسة "راند" الإيحاء بأهميَّة التدخّلات التي تدعمها، وتسـهم في صياغتها، كونها أتاحت "للولايات المتحدّة إحباط سرديّات زائفة قبل أن تكتسب زخمًا".[3]

1 - Trita Parsi: Treacherous Alliance: The Secret Dealings of Israel, Iran, and the U.S., p234.

2 - RAND Corporation: About RAND, p2.

3 - Jennifer Kavanagh, and Mike Rich: Truth Decay: An Initial Exploration of the Diminishing Role of Facts and Analysis in American Public Life, p.15.

يعكس هذا الموقف، تحوّلاً عميقًا من الدور التحليليّ المبسّط، والممزوج بكثير من الإيحاء بالموضوعيَّة، والعمل المنهجيّ المحايد، إلى دور أعمق يتدخّل في تفاصيل صناعة السرديّات المطلوب تشكيلها. وبعبارة أكثر وضوحًا، إنّ "السرديّات قويَّةٌ؛ لأنّها سهلة الفهم، وتتماهى مع الجمهور المقصود، فتقدّم طريقة مفيدة لتأويل الأقوال والأفعال"[1]، وتصبح الدراسات والأوراق البحثيَّة أدوات لإقناع الجمهور، والنخب بضرورة تبنّي خيارات سياسيَّة محددة. ويجد هذا النمط تطبيقًا في بيئات ما بعد النزاعات، كما في العراق؛ حيث شاركت (RAND) في وضع أطر، لإعادة هيكلة قطاع الأمن، قُدّمت باعتبارها "إصلاحات"، لكنّها عمليًا كانت متّسقة مع أولويّات السياسة الأميركيَّة[2].

## ٢. مؤسسة "بروكينجز" (Brookings): مركز أبحاث أم ممرّ للسلطة؟

تمثّل مؤسّسة «بروكينجز»، حالة أخرى من التداخل البنيويّ بين البحث الأكاديميّ وصنع القرار. يكشف تقريرها السنوي لعام ٢٠٢٢ عن إحالة ٤٧ من أوراق باحثيها في جلسات استماع للكونغرس، وتنظيم ٣٣ ندوة مغلقة لصنّاع القرار، وانتقال ١٢ باحثًا إلى مناصب رسميَّة في الإدارة الأميركيَّة[3].

تنظر المؤسّسة إلى أنّ معيار نجاح عملها، هو تحوّل أفكارها إلى سياسات فعليَّة، بينما تحاول الإيحاء الدائم إلى أنّ رسالتها بعيدة عن الانحياز، وتقوم على "إجراء بحوث معمّقة غير حزبيَّة لتحسين السياسات والحوكمة على المستويات المحليَّة، والوطنيَّة، والعالميَّة"[4]. تنعكس هذه الأوراق السياسيَّة حتى اليوم على الحوارات الساخنة، وكيفيَّة مقاربتها، وما يدور فيها في أروقة القرار المحليّ.

## ٣. معهد WINEP: الوظيفة المزدوجة

يمثّل معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى (WINEP) حالة خاصّة من حيث البنية

1 - Christopher Paul, and Miriam Matthews: The Language of Narrative in Strategic Communication: The Case of Counterterrorism, p2.

2 - Toby Dodge: Iraq: From War to a New Authoritarianism, p103.

3 - Brookings Institution: Annual Report, p.14

4 - Brookings Institution: Annual Report, p.3.

والأجندة. فقد أسّسه أفراد مقرّبون من اللّوبيّ الإسرائيليّ (AIPAC)، ويعرّف نفسه بأنّه "مركز أبحاث مستقلّ، يُعنى بتقديم رؤى دقيقة لصنّاع القرار الأميركيين عن الشرق الأوسط"[١].

إنّ مراجعة وافية لتقارير هذا المركز، تكشف ارتباطه الوثيق بالمؤسّسات الأمنيَّة الأميركيَّة والإسرائيليَّة، وانحيازه الواضح إلى توصيف الحركات الإسلاميَّة بأنّها تهديد وجودي، ودعم سياسات التطبيع العربيّ-الإسرائيليّ، وأخيراً الدعوة إلى الضغط السياسيّ والماليّ على خصوم إسرائيل[٢]. هذه الأجندة تجد صدى في تغطياته للحالة اللبنانيَّة؛ حيث يوظف خطاب "الميليشيات المدعومة إيرانيًّا" بوصفه إطارًا مُهيمنًا يحدّد صورة الفاعلين المحلّيّين في الوعي الأميركيّ والدوليّ[٣].

### ٤. اللغة أداة سلطة

إنّ واحدة من ثوابت علم الاتصال السياسيّ، تتمثّل في النظر إلى اللّغة على أنّها أداة تتجاوز دورها في نقل الأفكار، إلى صياغة الواقع ذاته. فلم يكن هناك من فكر، أو تفكير، أو فلسفة قبل أن يكون هنالك لغة قادرة على التعبير الدقيق عن تلك التركيبات الذهنيَّة المعقّدة، وأيضًا إعادة صياغتها وتسييلها في قوالب أسهل هضمًا لعموم الجماهير؛ إذ يشير مفهوم «الخطاب القابل للنقل» إلى آليّات محدّدة تسمح في إنتاج عبارات مصاغة بعناية، بحيث يسهل تكرارها في الإعلام والسياسات، ما يمنحها طابعًا معياريًّا[٤]. مصطلحات مثل "الدولة الفاشلة"، و"محور الشرّ"، و"الإسلام المعتدل"، و"الميليشيات المدعومة إيرانيًّا"، تمثّل أمثلة واضحة على هذا الاستخدام الممنهج؛ إذ تعيد تعريف الشرعيَّة والمصالح، وتبرّر قرارات التدخّل أو العقوبات أو بناء التحالفات[٥].

وقد ظهر هذا النمط أيضًا في العراق بعد ٢٠٠٣، حين روّجت تقارير مدعومة من مراكز أبحاث

1 - WINEP: About Us, Washington, D.C.: WINEP, p1.
2 - WINEP: Policy Briefs.
3 - WINEP: Policy Briefs, p4.
4 - Diane Stone: Capturing the Political Imagination: Think Tanks and the Policy Process, p110.
5 - Norman Fairclough: Language and Power, p88.

أميركيَّة لوصف البلاد بـ "دولة فاشلة" تحتاج إلى وصاية دوليَّة، ما أسهم في تهيئة بيئة سياسيَّة مؤاتيَّة، لاستمرار النفوذ الخارجيّ[1].

## ثالثًا: صناعة السرديّات في المنطقة – العراق، لبنان، سوريا، إيران

### ١. السرديَّة بوصفها أداة لإعادة إنتاج الهيمنة

لا تكتفي مراكز التفكير بتحليل الوقائع، بل تؤدّي دورًا فعّالاً في صياغة سرديّات استراتيجيَّة تُعيد تعريف الوقائع، وتمنحها تأطيراً يخدم السياسات الرسميَّة. فالسرديَّة المنتجة لا تُفسّر العالم كما هو، بل تصمّمه رمزيًّا من جديد، عبر اختيار المصطلحات، وتحديد الفاعلين، وتوصيف التهديدات، وتعريف الاستقرار. يُشير (إدوارد سعيد) إلى أنّ الغرب «لا يُنتج فقط معرفة عن الآخر، بل يُعيد تشكيل هذا الآخر ضمن بنية رمزيَّة تجعل إخضاعه مقبولاً خُلُقيًا»[2].

### ٢. العراق: من الدولة إلى الفضاء المُفكَّك

لم تتغيّر نظرة العراقيّين -عمومًا- إلى بلدهم بالصدفة أو بالمعاينة المستقلّة. على العكس، فقد ساهمت مراكز التفكير في تزويد الإعلام والقوى السياسيَّة بما يلزمها من «سرديّات» و «رمزيّات» لتكريس هذه النظرة الدونيَّة للذات؛ إذ تُقدّم مراكز مثل (RAND) و(Brookings) العراق بوصفه دولة "هشّة"، متعدّدة الهويّات، وعاجزة عن بناء إجماع وطنيّ مركزيّ. ويجري تكريس هذا التصوّر محليًّا ودوليًّا من خلال تكرار هذه التوصيفات ضمن أوراقها البحثيَّة، ومن ثَمَّ الدعوة إلى حلول من قبيل "تعزيز الحكم المحليّ"، و"دعم النخب السُنّيَّة المعتدلة"، و"تحجيم النفوذ الإيرانيّ"، وليس آخرها "تسريع دمج قوى المجتمع المدنيّ في عمليَّة إعادة بناء الدولة". يمكن ملاحظة هذا الأمر بشكل واضح في تقرير (Iraq's Fragmented Sovereignty RAND)، من خلال توصيات ذات أهداف لا تنشأ من المصلحة الوطنيَّة العراقيَّة، ولا من معاينة مستقلّة للواقع العراقيّ، وإنّما من خلال ما يتناسب مع مصالح الهيمنة، كهذا المقطع من التقرير المذكور،

1 - Toby Dodge: Iraq: From War to a New Authoritarianism, p117.

2 - Edward Said: Orientalism, p40.

والذي ينص على أنّه "ينبغي تفكيك مركزيَّة القرار السياسيّ عبر تمكين المحافظات، وتخصيص المساعدات بناءً على الشفافيَّة واللا المركزيَّة الإداريَّة"[1]. هذه الرؤية تُشرعن تفتيت السلطة السياسيَّة تحت ستار "الإصلاح"، وتُحوّل صراع الهُويَّة والمصالح إلى مجرّد "إدارة طائفيَّة ذكيَّة".

وبعيدًا عن الخطاب البحثيّ، ثَمّة مسارٌ عمليّ كرّس هذا التفكيك خلال السنوات الأولى لاحتلال العراق من قبل الولايات المتحدّة الأمريكيَّة؛ حيث لم يترك (بول بريمر-Paul Bremer) -الحاكم المدنيّ لسلطة الائتلاف- أيَّة مناسبة للتشديد على أنّه لم يعتمد محاصصةً طائفيَّة "مستوردة"، وأنّ الدستور كُتِب بإرادة عراقيَّة، وأنّ جهوده انصبّت على بلورة مسار ينتهي بانتخابات عامة يختار فيها العراقيّون نظامهم[2]. لكنّ ترتيبات الانتقال نفسها عُدِّلت أواخر ٢٠٠٣ تحت ضغطٍ محليّ لإجراء انتخابات مبكرة، وهيئة منتخَبة لكتابة الدستور، وهو ما وثّقته شهادات مسؤولين شاركوا في إدارة ذلك المسار، فيما الثابت دون أدنى شكّ أنّه قد "جرى إقرار مرسوم اجتثاث البعث من قِبل رؤساء (بريمر) في البنتاغون".[3] أما تشكيل "مجلس الحكم" (تموز ٢٠٠٣) فجاء بتركيبةٍ مُعلَنة تمثّل الهُويّات الجماعيَّة (١٣ شيعيًّا، ٥ سُنّة، ٥ أكراد، ١ تركمانيّ، ١ آشوريّ)، وهو ما قُرئ مبكّراً بداية لشرعنة منطق المحاصصة في هندسة السلطة -على رغم غياب نصّ دستوري صريح بذلك، وأثار انتقادات واسعة عن إرساء سابقة تُقعِّد السياسة على أسسٍ طائفيَّة/قوميَّة[4]. وبالمقارنة المؤسّسيَّة، اتّجه العراق لاحقًا نحو "توافقيَّة ليبراليَّة"، تُماثل لبنان في مخرجات تقاسم الوظائف والتمثيل بين "المكوّنات"، لكن من دون تثبيتٍ دستوريّ لنِسَبٍ طائفيَّة -أيضًا على الطريقة اللبنانيَّة. وقد ساعد على تكريس هذا العرف عاملٌ انتخابيٌّ تنظيميّ: اعتماد نظام القوائم المغلقة في انتخابات ٢٠٠٥، الذي شجّع التموضع ضمن اصطفافات هُويَّتيَّة واسعة، بدل منافسةٍ على برامج محليَّة/فرديَّة[5].

---

1 - RAND Corporation: Iraq's Fragmented Sovereignty: Political Decay and Reconstruction, p8.

2 - PBS/Frontline: "Interviews – L. Paul Bremer III (Gangs of Iraq).

3 - James Dobbins, and Seth Jones: Occupying Iraq: A History of the Coalition Provisional Authority, pxv.

4 - Al Jazeera: "Profile of Iraqi Governing Council Members.

5 - Clingendael Institute (Hamzeh Ezzeddine & Erwin van Veen), Iraq and Lebanon's Tortuous Paths to Reform.

ومع تراكم الوقت، والضوضاء السياسيَّة، والجهات المحليَّة التي تتبنّى خيارات قوى الهيمنة وتبالـغ في الحديث المحليّ عنهـا، إلى درجة لا يعود عند الجمهور القـدرة على تتبع المصدر الخارجـي للسياسـات المقترحة. وهنا يبرز التأثير الذي ينتجه أسـلوب العمـل هذا على تغيير الآراء المحليَّة، والتلاعب الذي يمكن أن يحدث بالأفكار لدى صنّاع القرار والنخب السياسـيَّة والجمهور. أما النتيجة النهائيَّة لكلّ ذلك، فستصبّ نهاية الأمر في خدمة الهيمنة، رغم أنّها ستبدو كأنّها "نتيجـة موضوعيَّة لخيارات حُرّة" لم تؤخَذ تحت الاحتلال وقوّة إنشـاء السرديّات، لكن وبالصدفة تبيّن أنّ "خيارات الناس" متطابقة مع "خيارات قوة الهيمنة" ومصالحها. لا تُصنَع هذه الأفكار مجّانًا، ولا يجري تسييلها وتمريرها بهذا الشكل المعقّد من الحذاقة والدهاء السياسيّين، لولا المشاركة الفاعلة لمراكز الفكر.

### ٣. لبنان: سرديَّة «الدولة المخطوفة»

يعدّ عمل مراكز الفكر على الملف اللبنانيّ من الأقدم زمنيًّا، ويمكن اعتبار لبنان مختبرًا استباقيًا لكل ما يحصل من هندسـة سياسـيَّة وثقافيَّة واجتماعيَّة في كل المنطقـة. لكن، وبالتركيز على السنوات الأخيرة -وتحديدًا منذ ٢٠١٩، بدأت تقارير (WINEP) و(Atlantic Council) توظّف سرديَّة تُعيد توصيف لبنان بـ "دولة مختطَفة من قِبل حزب مسلّح"، وأنّه بحاجة إلى تدخّل دولي لدعـم الجيش اللبنانيّ، إعادة تأهيل الإدارة، وتمكين منظّمات "مدنيَّة" بديلة. فيما يشـدّد مركز "تشاتام هاوس" (Chatham House) على أنّ "حزب الله صعد ليصبح المنظمة السياسيَّة الأكثر نفوذًا في لبنان، لكنّه يعمل إلى حدّ كبير من دون مساءلة. ومن المحتمل أن يتمكّن من الاستيلاء على الدولة اللبنانيَّة بالقوّة، لكنّه يجد من الأكثر فاعليَّة أن يمارس السـلطة في دولة ضعيفة مثل لبنان من دون تحمّل مسـؤوليات الحكم"[1]. إلى أين يفضي هذا المسار؟ إلى الواقع الذي نراه اليوم في لبنان: خطاب يُقصي قوى المقاومة عن أيّ شرعيَّة سياسـيَّة، ويُجنّب النظام المصرفيّ والنيوليبراليّ أيّ مساءلة.

1 Chatham House: Lebanon's politics and politicians: Explaining Lebanon's political system, the influence of religion, armed groups such as Hezbollah, and corruption in the state.

### ٤. سوريا: إعادة الإعمار بوصفه مختبراً إداريًّا

شكّل العام ٢٠١٧ مرحلة اعتبر فيها «إسقاط النظام» السابق مشروعًا فاشلاً. وبناءً على هذا الواقع الميدانيّ المستجدّ، انبرت مراكز الفكر للمساهمة في صياغة توجّهات أخرى أكثر تأثيراً ونجاحًا؛ حيث طرح معهـد «بروكينغز» خطّة الضغط من خلال «إعادة الإعمار المشروط». في تقرير (Brookings Reconstructing Syria) ٢٠٢٠، من خلال اعتماد اسـتراتيجيّات مغايرة، تبدأ من دعم الإدارة المحليَّة في مناطق المعارضة، وتحويل المساعدات إلى أدوات ضغط، وتهيئة بيئة انتقاليَّة دون تغيير جذريّ في بنية السلطة المركزيَّة[1]. الهدف غير المعلن هو إدارة بُنى ما بعد الحرب، بما يضمن اسـتمرار السـيطرة الغربيَّة الرمزيَّة، مع الحدّ الأدنى مـن التغيير، وفي حال وضوح فرصة تغيير حقيقيَّة، يكون البديل جاهزاً ومؤطّرًا ضمن سرديَّة "دولة" جاهزة.

### ٥. إيران: نزع الشرعيَّة الرمزيَّة

منـذ احتجاجات ٢٠٠٩ في إيران عقب الانتخابات الرئاسـيَّة التي أعادت (محمود أحمدي نجاد) إلى الحكم لولاية ثانية، تكرّست سرديَّة جديدة تقوم على «تجفيف شرعيَّة الثورة الإسلاميَّة» في إيـران، وتتالت الدراسـات التي تدعو إلى تغيـير النظام أو الدفع نحو تغيـيرات جذريَّة فيه، إلى حدّ الحديث عن سـيناريوهات ما بعد سـقوطه؛ حيث تذكر إحدى الدراسات أنّها «تعرض خمسة سـيناريوهات بديلة لما بعد خامنئيّ».[2] ومن الجلّي أنّ هذه المقاربة لا تسعى إلى دعم الديمقراطيَّة، بل إلى تفكيك النسق الرمزيّ الذي تستند إليه الجمهوريَّة الإسلاميَّة بصفته مرجعيَّة مناهضة للهيمنة ومساعي الهيمنة في العالم.

1 - Brookings Institution: Reconstructing Syria: A Framework for Political Settlement, pp12–17

2 - David Waltz, Alireza Nader, and David Christ: The Next Supreme Leader: Succession in the Islamic Republic of Iran, p.xiii.

## رابعًا: شبكات التأثير وصناعة القرار والخطاب

### ١. من التمويل إلى صياغة الإدراك

لا تعمل مراكز التفكير منفردة، بل ضمن شـبكات هيمنة ناعمة ترتبط بمصادر تمويل كبرى، وأجهزة أمنيَّة، ومؤسّسـات إعلاميَّة، وجامعات، ومنظّمات مجتمع مدني. تُنتج هذه الشـبكات سرديَّة منسّقة، وتُعيد إنتاج مفاهيم محدّدة، وتُطوّع الخطاب العام لخدمة السياسات الاستراتيجيَّة الغربيَّـة. لا تقاس شـبكات مراكز التفكير بعدد تقاريرها فقط، بـل بقدرتها على التحكم في من يتكلّم، وكيف يُفكّر، وأيّ معرفة تُعَدّ جديرة بالاعتبار؛ إذ «تمارس مراكز الأبحاث تأثيراً كبيراً على الطريقة التي يرى بها المواطنون والمشرّعون العالم»[١].

تلعب مؤسّسـات التمويل دورًا محوريًّا في هندسة المحتوى الذي تُنتجه مراكز التفكير. على سـبيل المثال، تُظهر قاعـدة بيانـات (National Endowment for Democracy) (NED) أنّ المؤسّسة موّلت في عام ٢٠٢٢ أكثر من ٤٠ جهة في لبنان تحت عناوين مثل "المجتمع المدنيّ"، و"الانتخابات"، و"الإعلام المستقلّ"، وأنّها تدعم "سنويًّا أكثر من ١٧٠٠ منحة لمنظّمات غير حكوميَّـة في أكثر من ٩٠ دولـة"[٢]. أما أبرز الجهات المسـتفيدة، فهي مبـادرات بحثيَّة تدّعي الاستقلاليَّة، ومنظّمات تدريب سياسيّ تحوي نشطاء معروفي التوجّه الموحّد والمنظّم، والذي يدور في فلك سياسيّ محدّد، أو وسائل إعلام جديدة مموّلة أميركيًّا. بينما تموّل (USAID) برامج مثل BALADI)) لدعم البلديات المحليَّة، أو مبادرة الحكم الرشيد (DAI)، أو مشاريع تدريب الصحفيين والنشـطاء على "بناء السرديّات البديلة"؛ حيث يشـير التقرير السنويّ لـ (USAID) لبنان إلى أنّ ٦٠٪ من تمويلها تُوجّه نحو "برامج التواصل الاسـتراتيجيّ والتثقيف العام". ومن الأمثلة عـلى ذلك، مذكّرة "تقرير التدقيق النهائيّ عن بيان أمانـة الأموال لدى ( كاريتاس لبنان) لبرنامج (BALADI) في لبنان".[٣]

---

1 - Thomas Medvetz: Think Tanks in America, p60.

2 - National Endowment for Democracy (NED): About NED, p.1.

3 - USAID: Audit of the Fund Accountability Statement of Caritas Lebanon Under Multiple Awards Including the BALADI Program, p.2.

### ٢. تدوير النخب: من المركز إلى القرار

يرصد تقرير (Carnegie) لعام ٢٠٢١ حالات انتقال شخصيّات من مراكز مثل (Brookings) و(Atlantic Council) إلى مواقع تنفيذيَّة داخل وزارة الخارجيَّة والحرب الأميركيَّتين[١]. في الحالة اللبنانيَّة، تظهر شخصيّات بوصفها "خبراء مستقلين"، لكن في حقيقة الأمر، إنّ مؤهّلاتها جرى بناؤها هندسيًّا من خلال كونها مموّلة من (NED)، ومدرّبة ضمن برامج أمريكيَّة، بينما تنقل خطاباتها إلى الإعلام المحليّ باعتبارها مواقف تحليليَّة حياديَّة.

### ٣. الإعلام بوصفه غرفة صدى

تلعب وسائل الإعلام دورًا حاسمًا في نشر سرديّات المراكز، من خلال ملء الهواء بشكل مستدام بمنتجات هذه المراكز؛ مرة من خلال استضافة «الخبير» المتكرّر، وأخرى عبر الاقتباس من أوراق السياسات. ولكن الاستراتيجيَّة الأكثر أهميَّة، تكمن في إعادة إنتاج المفاهيم في الخطاب السياسيّ اليوميّ؛ فكثير من المصطلحات الشائعة ظهرت أوّلًا في أوراق مراكز التفكير، مثل «الدويلة داخل الدولة»، و«الردع المتوازن»، و«الهلال الشيعيّ»، و«الإسلام المدنيّ»، وغيرها من المصطلحات التي يستسهل، حتى نخب الجهات المستهدَفة، في إعادة استخدامها وتكرارها؛ إذ «يمكن لأدوات التدخّل أن تتسرّب إلى النظام الإعلاميّ المستهدَف وتستخدمها غرفة صدى».[٢]

## خامسًا: نقد خطاب الهيمنة – تفكيك من داخل الغرب

رغم السطوة الرمزيَّة لمراكز التفكير الغربيَّة، فإنّ عددًا من المفكّرين الغربيّين البارزين قدّموا نقدًا حادًّا لوظيفتها ودورها، كاشفين كيف أنّها لا تنتج معرفة مستقلة، بل تُعيد إنتاج الخطاب الرسميّ بصيغة تحليليَّة قابلة للتسويق. يشير (نعوم تشومسكي-Noam Chomsky) إلى هذا الأمر بقوله: "وظيفة المؤسّسات المعرفيَّة في الغرب ليست قول الحقيقة، بل إنتاج الإقرار القابل

1 - Carnegie Endowment for International Peace: Think Tanks and Policy Influence, p14.

2 - Samuel Bendett, and Heather Conley: Confronting Russian Information Warfare, p5.

للتكرار"[1]. في كتابهما "Manufacturing Consent"، يشرح (تشومسكي) و(إدوارد هيرمان-Edward Herman) كيف تعمل مراكز التفكير جزءًا من "نظام تصفية للخطاب"، يقوم على ثلاثة عناصر: التمويل الانتقائيّ، وانتقاء الأصوات المقبولة، واستبعاد أي طرح يهدد البنية السياسيَّة أو الاقتصاديَّة القائمة، مشدّدًا على أنّ "الرقابة ليست فرضًا، بل ترتيبًا متقنًا يُنتج ما يمُكن التفكير فيه أصلاً"[2]. وفي المحصّلة، يؤكّد المؤلفان على أن مراكز مثل (Brookings) و(CSIS) تلعب دورًا في بناء "الإجماع القابل للتداول"، لا في نقد السلطة.

## ١. المعرفة سلطة، والمستقبل مسرح للهيمنة

يرى (ميشيل فوكو-Michel Foucault) أنّ "السلطة لا تُمارس فقط عبر القوانين، بل عبر إنتاج الخطاب نفسه"[3]. لذلك، فإنّه من السطحيّ الاعتقاد بأنّ مراكز التفكير تنتج التوصيات فقط، بل إنّها -في الحقيقة- تحدّد للمجال العام من هو العدوّ، وما هو تعريف الأمن، ومن الذي يجوز له المشاركة في القرار. وبتعبير (فوكو) نفسه، فإنّ هذه المؤسّسات أشبه بـ "آليّات للمعرفة المنتجة للامتثال"، لا للتمرّد.

أما (وندل بيل-Wendell Bell)، فإنّه ينتقد في دراسته (Foundations of Futures Studies)، كيف أنّ التنبؤات الصادرة عن مراكز التفكير الأمريكيَّة لا تحلّل ما قد يحصل، بل تروّج لما يجب أن يحصل وفقًا لمنظور استراتيجيّ مسبق، وأنّ تلك "السيناريوهات تُصاغ بطريقة تجعل مسارًا محدّدًا يبدو قَدَريًّا ومرغوبًّا، وتُقصى السيناريوهات البديلة من النقاش"[4] تمامًا كما حصل في حالة العراق، وصياغة الدستور، والعمليَّة السياسيَّة أيام الاحتلال الأمريكيّ.

من جهته، يستكمل (إيلاي كلار-Eli Clare) في كتابه "Exile and Pride"، كيف أنّ مؤسسات

1 - Noam Chomsky, and Edward Herman: Manufacturing Consent: The Political Economy of the Mass Media ppxi–xii.

2 - Noam Chomsky, and Edward Herman: Manufacturing Consent: The Political Economy of the Mass Media pxii.

3 - Michel Foucault: Power/Knowledge: Selected Interviews and Other Writings, p120.

4 - Wendell Bell: Foundations of Futures Studies, p33.

الفكر الغربيَّة تُقصي الفئات المُهمّشة من أن تكون مُنتِجة للمعرفة، وتُبقيها داخل "موقع الدراسة" فقط، بل ومانعةً إيّاها من أي موقع مبادر آخر؛ الأمر الذي يُعيد إنتاج الهرميَّة المعرفيَّة الإقصائيَّة، بينما تستمرّ تلك المراكز في الوقت نفسه بالتحدّث عن التعدّديَّة وحقوق الإنسان[1].

### ٢. غزّة وأوكرانيا: تفكيك الدور

في أعقـاب حرب غزّة (٢٠٢٣-٢٠٢٥)، واجهت مراكز مثل (WINEP) و(FDD) انتقادات بسـبب تحيّزها الخطابيّ، وتبنّيها للسرديَّة الإسرائيليَّة -عبر تقديمها كأنّها "تفسير أمنيّ محايد". بينـما رصدت مؤسّسـة (FAIR) -في تقرير خاصّ علاقـة التمويل المباشر بـين لوبيّات مؤيّدة لإسرائيـل ومراكز التفكير- تكرار مصطلحـات مثل "حقّ الدفاع عن النفـس" في تقارير متتاليَّة ومنظّمة[2]، فضلاً عن فضائح التمويل التي أُثيرت من قبل شركات الطاقة لمراكز سياسات دفاعيَّة خلال الحرب الأوكرانيَّة، أضعفت مصداقيَّة استقلاليّتها.

ما يظهره هذا النقد هو أن المواجهة مع خطاب الهيمنة لا تبدأ من الرفض، بل من تفكيك البنية المعرفيَّة التـي تصنع الرأي المقبول. ومراكز التفكير، في بنيتها الحاليَّة، لا تمثّل مسـاحة لتعدّد الآراء، بل آليَّة هندسـة للمعقول السـياسيّ. إذن، ليس المطلوب إنتاج مراكز بديلة فحسب، بل بنية معرفيَّة مقاومة، تُعيد تعريف من له الحقّ في أن يقوم بتوصيف العالم، ومن يُعرّف المصالح، ومن يُعيد تشكيل الإدراك الجمعيّ.

## سادسًا: بين الهيمنة ومشاريع المواجهة

تُظهـر المعطيات المسـتعرضة في الفصول السـابقة أن مراكز التفكير الغربيَّة ليسـت مجرد مؤسّسـات تحليليَّـة أو معامل إنتاج للمعرفة، بل هي أدوات وظيفيَّة تُسـهم في هندسـة الوعي الجمعي، وإعادة تشـكيل الإدراك السـياسي بما يتناسـب مع مشـاريع الهيمنة. من خلال ربط

1 - Eli Clare: Exile and Pride: Disability, Queerness, and Liberation, p45.

2 - FAIR: Gaza Coverage and Think Tanks: A Media Watch Special Report FAIR Publications, pp6–10.

التمويل بالخطاب، والخبير بالشرعيَّة، والسرديَّة بالسياسة، تمُارس هذه المراكز ما يمكن تسميته بـ «الاستعمار المعرفيّ الناعم»، الذي لا يفرض القوّة بقدر ما يُقنع بها. إن طبيعة الهيمنة الحديثة لا تحتـاج إلى طائـرات فقط، بل إلى مراكز أبحاث تُقنعك بأنّهـا ضروريَّة ومن دونها لا يمكنك النجاح.

أصبح من المؤكّد اليوم، أنّ مراكز التفكير الغربيَّة ليسـت "مختبرات أفكار" محايدة، بل هي جزء عضويّ من شـبكة هيمنة ناعمة تُنتج المفاهيم والسرديّات وتدفعها، عبر الإعلام والسياسة والمؤسّسـات الأكاديميَّة، إلى فضاء ما يُعتبر "معقولاً" في الـرأي العام. وكما يوضّح (جوزيف ناي-Joseph Nye)، تقوم هذه الآليَّة على جعل الآخرين "يريدون ما نريد" عبر الجاذبيَّة المعياريَّة لا القسر المباشر[1]. هذا الإطار يتكامل مع ما عرضه (نعوم تشومسـكي) و(إدوارد هيرمان) فيما يخصّ "هندسة الإقرار"؛ حيث تجري تصفية الخطابات لتحديد ما يُقال، وما يُسكت عنه، ومن هو الخبير المعتمد، ومن يُقصى من دائرة التأثير[2]. أمّا (ميشال فوكو) فيكشف البُعد الأعمق لهذه البنية؛ إذ يرى أنّ السلطة لا تكتفي بضبط المجال السياسيّ، بل تحدّد أفق التفكير وحدود الممكن تخيّله[3]. وعليه، لا يمكن فهم مراكز التفكير إلا ضمن شـبكات التمويل وتداول النخب، أو ما يُعرف بـ "البـاب الدوّار"، وهي آليَّة وصفها (توماس مِدفتـز-Thomas Medvetz) باعتبار هذه المراكز "عقدًا بين الحقول الأكاديميَّة والسياسيَّة والإعلاميَّة والاقتصاديَّة[4]. وتؤكّد (ديان ستون) أن استقلاليَّة هذه المؤسّسات كثيراً ما تكون خطابًا مُنشأ أكثر منها واقعًا تنظيميًّا [5].

يتطلّب التعامل مع هذا الواقع انشغالاً بسؤال أعمق، عن شروط إنتاج السرديّات: من يموّلها؟ ومن يعرّفها؟ ومن يشـارك في صياغتها؟ وما أثرها على العدالة والسـيادة؟ هنا يصبح تتبّع رحلة

1 - Joseph Nye: Soft Power: The Means to Success in World Politics, p22.

2 - Noam Chomsky, and Edward Herman. Manufacturing Consent: The Political Economy of the Mass Media pxii.

3 - Joseph Nye. Soft Power: The Means to Success in World Politics, p104.

4 - Thomas Medvetz: Think Tanks in America, p15-21.

5 - Diane Stone. Knowledge Actors and Transnational Governance: The Private–Public Policy Nexus in the Global Agora, p37.

المفاهيـم —من التقرير البحثيّ إلى الشاشـات وإلى دوائر القـرار— أداة لفهم البنية التي تمنح السرديَّة قوّتها، أو تحدّ من بدائلها. ويمكن أن يشـكّل التفكير في شبكات بحثيَّة مستقلّة، أو في مختـبرات سرديَّة محليَّة تعيد صياغـة القضايا من منظور حاجات النـاس، خطوة عمليَّة لكسر احتكار الخطاب المُهيمن. فالمطلوب ليس اسـتبدال سرديَّة بأخرى، بل تحرير شروط إنتاجها، عـلى نحو يتيح تعريف المصالـح، والكرامة، والحريَّة بمعجم ينبع مـن الواقع المحلي، لا من قوالـب خارجيَّة. كما أظهرت أعمال (ناي) و(غرامـشي-Gramsci) و(فوكو)، فإنّ الصراع على اللّغة والمعنى هو سـاحة الفعل السـياسيّ الحاسـمة، لا مجرّد ملحق له. وإذا لم ننجح في بناء قدرة مؤسّسـيَّة على تفكيك سرديّات القوة، وصناعة بدائل مقنعة، سنظلّ مجرّد "متلقّين أذكياء" ضمن عالم تُكتب لغته في مكان آخر.

## خاتمة

ما يجمع هذه التجارب هو سـؤال: هل تنتج هذه المراكز معرفـة نقديَّة حقيقيَّة، أم تُعيد إنتاج خطاب السـلطة، سواء أكانت سـلطة محليَّة أم عالميَّة؟ المقياس الحقيقي يجب أن يكون: هل تعيد تعريف المفاهيم؟ وهل تفتح أفق التفكير أم تُعيدنا إلى قوالب جاهزة أنتجتها مراكز الهيمنة نفسها؟

إنّ المواجهـة تمرّ من خلال أفكار ومشـاريع جذريَّـة، تبدأ من بناء شـبكات فكريَّة ترفض المركزيَّة الغربيَّة، على مستوى المنهج، قبل أيّ شيء، ودعم مراكز إنتاج معرفيّ نابعة من حاجات شعوبها، وفصل التمويل البحثيّ عن الولاء السياسيّ، وأيضًا تحرير مفهوم "الخبير" من احتكار النخبة المؤدلَجة، وصولاً إلى تأسيس خطاب بديل لا يكون دعائيًّا، بل نقديًّا، وتعدّديًّا، وتحرّريًّا. وإذا كانت المراكز الغربيَّة تُنتـج اللغة التي نُفكّر بها، فإنّ أولى خطوات المقاومة المعرفيَّة، هي التحرّر من هذه اللغة، وإنتاج مفاهيمنا، وسرديّاتنا، ومصالحنا، وأفكارنا من داخل سياقنا السياسيّ والاجتماعيّ، والثقافيّ. ليسـت القضيَّة في أن نكوّن مراكز بديلة، بل أن نُعيد تحديد ما هو بديل أصلاً.

ربطًا بالصورة الأكبر، علينا جميعًا أن نغيّر جذريًّا من رؤيتنا للواقع المتغيّر لطبيعة الصراعات والحـروب والهيمنة؛ إذ إنّ "الحروب الجديدة"، على عكس "الحروب القديمة"، تتميّز بطريقة اسـتخدام العنف المنظّم لأغراض مختلفة، بدءًا من الجريمة المنظّمة إلى الانتهاكات الواسـعة النطاق لحقوق الإنسـان -كما يحدث في غزة وفلسطين اليوم. دارت رحى الحروب القديمة في المقـام الأول على المصالح الجيو-سياسـيَّة أو الأيديولوجيَّة، بينـما تخاض الحروب الجديدة لأسـباب أخرى؛ "المصالح الاقتصاديَّة" و "الهويَّة". تغيّرت الأسـاليب أيضا، فلم تعد الحرب على شكل قوّة تقليديَّة تسعى لنصر حاسم على قوّة تقليديَّة أخرى، بل باتت الصراعات تتمحور أكثر حول "الهيمنة" على الإدراك. وبلغة مباشرة: أصبح الهدف اليوم هو السـيطرة على الناس: قلوبهم، وعقولهم.

بناءً على ذلك، فإنّ التغيير في التفكير الاستراتيجيّ ضروري، ليصار إلى محاذاة الاستراتيجيَّة مع خصائص الحرب المعاصرة. وعلى صانع القـرار في كلّ إطار اجتماعيّ، وتربويّ، وثقافيّ، وسـياسيّ على الخصوص، أن يسارع إلى إعادة التفكير في الأهداف والمَهام التي على أساسها يقوم بتصميم هيكليّاته، وأولويّاته، وتوزيع موارده، بدءًا من الاستراتيجيّات التربويَّة على مستوى المـدراس، وليس انتهاءًا بالقوات المسـلّحة. عليه أن يعيد التفكير في تعريفـات كبرى؛ نهائيَّة الكيانات والدول؟ من هم المؤثّرون الاسـتراتيجيّون في أيّ نزاع على مستوى مجتمعه، والدولة التي يعمل ضمن قوانينها الناظمة؟ وكيف هو الشـكل الحقيقيّ لتوزّع القوة تمهيدًا للصراعات المسـتقبليَّة؛ حيث تُخاض معارك واشـتباكات صغيرة مركّبة ومعقّدة عليه في كل يوم، من أجل ضرب ثبات مفهوم أو موقف ما عند الناس، أو زرع وتثبيت مفهوم، أو موقف جديد في عقولهم وقلوبهـم، وليس مراكز التفكير سـوى إحدى أبـرز الأدوات التي تسـهم في الفاعليَّة على هذا المسرح العمليّاتيّ المعقّد، والذي بات "في ذاته" أحد التعريفات العمليَّة للصراعات المعاصرة.

# مصادر ومراجع


- Donald Abelson: Think Tanks, Public Policy, and the Politics of Expertise. Cambridge: Cambridge University Press, 2002.
- Muhammad Idrees Ahmed: The Road to Iraq: The Making of a Neoconservative War. Edinburgh: Edinburgh University Press, 2014.
- Al Jazeera: "Profile of Iraqi Governing Council Members." 29 May 2004. https://www.aljazeera.com/news/200425/5//profile-izz-al-din-salim-2. (Accessed 26 September 2025).
- Trita Parsi: Treacherous Alliance: The Secret Dealings of Israel, Iran, and the U.S. New Haven: Yale University Press, 2007.
- Wendell Bell: Foundations of Futures Studies. New Jersey: Transaction Publishers, 1997.
- Samuel Bendett, and Heather Conley: Confronting Russian Information Warfare. Washington, D.C.: CSIS, 2017.
- Brookings Institution: Annual Report 2022. Washington, D.C.: Brookings, 2022.
- Brookings Institution: Reconstructing Syria: A Framework for Political Settlement. Washington, D.C.: Brookings, 2020.
- Carnegie Endowment for International Peace: Think Tanks and Policy Influence. Washington, D.C.: Carnegie, 2021.
- Chatham House: "Lebanon's Politics and Politicians." London: Chatham House, 2021. https://www.chathamhouse.org/202108//lebanons-politics.

(Accessed 26 September 2025).

- Eli Clare: Exile and Pride: Disability, Queerness, and Liberation. Boston: South End Press, 1999.
- Clingendael Institute (Hamzeh Ezzeddine & Erwin van Veen): Iraq and Lebanon's Tortuous Paths to Reform. The Hague: Clingendael, 2020.
- Noam Chomsky, and Edward Herman: Manufacturing Consent: The Political Economy of the Mass Media. New York: Pantheon Books, 1988 (2nd ed., 2002).
- Eric Conway, and Naomi Oreskes: Merchants of Doubt. New York: Bloomsbury Press, 2010.
- James Dobbins, and Seth Jones: Occupying Iraq: A History of the Coalition Provisional Authority. Santa Monica: RAND Corporation, 2009.
- Toby Dodge: Iraq: From War to a New Authoritarianism. London: Routledge, 2013.
- Daniel Drezner: Ideas and Foreign Policy: Beliefs, Institutions, and Political Change. Princeton: Princeton University Press, 1993.
- FAIR: Gaza Coverage and Think Tanks: A Media Watch Special Report. Washington, D.C.: FAIR Publications, 2024.
- Michel Foucault. Power/Knowledge: Selected Interviews and Other Writings, 1972–1977. New York: Random House, 1980.
- National Endowment for Democracy (NED): About NED. Washington, D.C.: NED, 2022.
- Joseph Nye: Soft Power: The Means to Success in World Politics. New York: PublicAffairs, 2004.
- Christopher Paul, and Miriam Matthews: The Language of Narrative in

Strategic Communication: The Case of Counterterrorism. Santa Monica: RAND Corporation, 2016.

- PBS/Frontline: "Interviews – L. Paul Bremer III (Gangs of Iraq)." 17 April 2007. https://www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/gangsofiraq/interviews/bremer.html. (Accessed 26 September 2025).
- RAND Corporation: About RAND. Santa Monica: RAND, 2020.
- RAND Corporation: Iraq's Fragmented Sovereignty: Political Decay and Reconstruction. Santa Monica: RAND, 2021.
- Andrew Rich: Think Tanks, Public Policy, and the Politics of Expertise. Cambridge: Cambridge University Press, 2004.
- Edward Said: Orientalism. New York: Pantheon Books, 1978.
- Diane Stone: Capturing the Political Imagination: Think Tanks and the Policy Process. London: Routledge, 1996.
- Diane Stone: Capturing the Political Imagination. London: Routledge, 2007.
- Diane Stone: Knowledge Actors and Transnational Governance: The Private–Public Policy Nexus in the Global Agora. London: Palgrave Macmillan, 2013.
- USAID: Audit of the Fund Accountability Statement of Caritas Lebanon Under Multiple Awards Including the BALADI Program. Washington, D.C.: USAID, 2021.
- David Waltz, Alireza Nader, and David Christ: The Next Supreme Leader: Succession in the Islamic Republic of Iran. Santa Monica: RAND Corporation, 2011.
- WINEP: About Us. Washington, D.C.: WINEP, 2021.
- WINEP: Policy Briefs. Washington, D.C.: WINEP, 2019–2023.